صفورية

قرية صفورية المهجّرة

صفورية قرية فلسطينية مهجّرة من قرى قضاء الناصرة، كانت تقع على مسافة نحو ستة كيلومترات إلى الشمال الغربي من مدينة الناصرة. وكانت كبرى قرى القضاء من حيث عدد السكان ومساحة الأراضي.

أُقيمت القرية على المنحدرات الجنوبية الغربية لنتوء صخري يرتفع نحو 110 أمتار فوق السهل الواقع إلى الجنوب منه، بينما بلغ متوسط ارتفاع موقعها نحو 250 متراً عن سطح البحر.

البيان	المعلومة
القضاء	الناصرة
المسافة من الناصرة	نحو 6 كم شمال غربي المدينة
متوسط الارتفاع	نحو 250 مترًا

البيان	المعلومة
السكان سنة 1931	3,147 نسمة – يشمل الرقم عرب الحجيرات وعرب الحجاجرة
عدد المنازل سنة 1931	747 منزلًا مأهولًا
السكان سنة 1944/1945	4,330 نسمة
تقدير السكان سنة 1948	نحو 5,023 نسمة – تقدير ديموغرافي لاحق وليس تعدادًا رسميًا
إجمالي الأراضي سنة 1945	55,378 دونمًا
الهجوم والتهجير	ليل 15–16 تموز/يوليو 1948؛ تعرضت صفورية لقصف جوي أعقبه هجوم بري واحتلال القرية فجر 16 تموز، فنزح قسم كبير من السكان إلى الشمال والشرق؛ ثم طُرد من بقي من السكان في مراحل لاحقة
السيطرة الإسرائيلية النهائية	فجر 16 تموز/يوليو 1948؛ استولت قوات الاحتلال الإسرائيلي على القرية ضمن عملية ديكل، ولا تذكر المصادر المعتمدة انسحابها منها بعد ذلك
العملية العسكرية	عملية ديكل
الوحدة العسكرية المنفذة للهجوم على صفورية	كتيبة مدرعة من اللواء السابع (شيفع) وكتيبتا مشاة من لواء كرميلي
سبب النزوح	القصف الجوي والهجوم العسكري المباشر أثناء عملية ديكل، أعقبهما طرد من بقي من السكان وعمليات طرد لاحقة للعائدين
المستعمرات الموثقة على الأراضي	تسيبوري – 1949؛ هسوليليم – 1949؛ ألون هغليل – 1980؛ هوشعيا – 1981؛ حنتون – 1984

الموقع والجغرافيا

ربطت طريق فرعية صفورية بالطريق العام المؤدي إلى الناصرة، وبالطريق الساحلي المتجه نحو الشمال الغربي. وكانت المنطقة المحيطة بها تشكل مدخلاً طبيعياً إلى الجليل الأسفل، وهو ما منحها أهمية استراتيجية منذ العصور القديمة.

امتازت أراضي صفورية بخصوبة تربتها ووفرة موارد المياه السطحية والجوفية، وانتشرت فيها الينابيع والآبار. وكان «عين القسطل» من أبرز مصادر المياه التي استُخدمت في ري البساتين المحيطة بالقرية.

أحاطت بأراضي صفورية أراضي عدد من البلدات والقرى، من بينها رمانة، وكفر مندة، والمشهد، وعيلوط، وعبلين، وشفا عمرو.

اسم صفورية عبر التاريخ

تعددت الآراء بشأن أصل اسم صفورية؛ فمن الجائز أن يكون مشتقاً من كلمة سريانية تعني «العصفور»، في إشارة إلى موقعها فوق التل كطائر يجثم على مرتفع.

عُرفت المدينة في العهد الروماني باسم Sepphoris، ثم سُميت في عهد الإمبراطور هادريان Diocaesarea. أما الصليبيون فعرفوها باسم Le Sephorie.

صفورية في العصور القديمة والوسطى

اكتسبت صفورية مكانة إدارية مهمة عقب الفتح الروماني لفلسطين، إذ أصبحت مركزاً إدارياً لمنطقة الجليل. وبعد قمع الثورة اليهودية الأولى سنة 70 للميلاد، تحولت تدريجياً إلى مركز للحياة الدينية اليهودية.

سكنها اليهود والمسيحيون خلال العهد البيزنطي، ثم فتحها المسلمون سنة 634 للميلاد. وفي العهد الصليبي بُنيت فيها قلعة، قبل أن يستعيدها صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين سنة 1187.

ورد ذكر صفورية في مؤلفات عدد من الجغرافيين والمؤرخين العرب والمسلمين، ومنهم البلاذري وياقوت الحموي وابن العماد الحنبلي. كما خرج منها عدد من العلماء والقضاة والشعراء الذين نُسبوا إليها باسم «الصفوري».

في سنة 1745 بنى ظاهر العمر الزيداني قلعة فوق التل المشرف على صفورية. كما أُقيمت كنيسة القديسة حنة فوق بقايا كنيسة كبيرة يرجع تاريخها إلى أواخر القرن السادس للميلاد.

البنية العمرانية

اتخذت صفورية الحديثة شكلاً مستطيلاً، وتقاطعت شوارعها المتعامدة عند مركزها التجاري. وكانت منازلها مبنية في معظمها من الطين والإسمنت، مع وجود أبنية حجرية أقدم.

توسعت حركة البناء في السنوات الأخيرة قبل النكبة باتجاهي الشمال الغربي والجنوب الشرقي. وبلغت مساحة المنطقة المبنية سنة 1944/1945 نحو 102 دونم.

كان في القرية مسجد وعدد من المباني الدينية، إضافة إلى سوق ومرافق تجارية وإدارية خدمت سكانها والقرى المجاورة.

التعليم

ضمّت صفورية مدرستين ابتدائيتين، واحدة للبنين وأخرى للبنات. وتأسست مدرسة البنين سنة 1900 خلال العهد العثماني، ثم أُنشئت مدرسة للبنات في فترة لاحقة.

أسهمت المدرستان في خدمة أبناء القرية، التي كانت تُعد من أكبر التجمعات السكانية في منطقة الناصرة.

المجلس البلدي

أُنشئ في صفورية مجلس محلي سنة 1923، وتولى إدارة شؤون القرية وخدماتها. وارتفعت نفقاته من نحو 74 جنيهاً فلسطينياً سنة 1929 إلى 1,217 جنيهاً فلسطينياً سنة 1944، وكانت نفقات المجلس تقل قليلاً عن إيراداته.

المواقع الأثرية

تضم صفورية واحداً من أغنى المواقع الأثرية في الجليل، وقد أظهرت التنقيبات أنها ظلت مأهولة بصورة شبه متواصلة منذ العصر الهلنستي، على الرغم من تعرض أبنيتها للتدمير أكثر من مرة.

كشفت حفريات سنة 1931 عن مسرح روماني إلى الشمال الغربي من الموقع، يُقدّر أنه كان يتسع لنحو أربعة أو خمسة آلاف شخص، ويرجع بناؤه على الأرجح إلى القرن الأول للميلاد.

كما يضم الموقع لوحات فسيفسائية رومانية وبيزنطية، وبقايا كنائس وأبنية دينية، وقلعة ظاهر العمر المشيدة فوق أساسات بيزنطية. ويعود الطابق الثالث من القلعة إلى عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني.

ومن أبرز المعالم والمواقع المحيطة بصفورية كنيسة القديسة حنة، وخربة الخلادية، وخربة المشيرفة، وخربة مشمسية، وخربة أم أحمد، وعين القسطل، وعين أبو راس.

الحياة الاقتصادية

شكّلت الزراعة عماد اقتصاد صفورية، بفضل خصوبة أراضيها ووفرة مصادر المياه. واشتهرت بزراعة الزيتون والقمح والرمان، إلى جانب الحبوب والخضروات والبساتين المختلفة.

في موسم 1944/1945، خُصص 21,841 دونماً لزراعة الحبوب، وبلغت مساحة الأراضي المروية أو المستخدمة للبساتين 5,310 دونمات، كان منها 3,720 دونماً مزروعة بأشجار الزيتون.

كما وُجدت في محيط القرية معاصر للزيتون، واعتمد عدد كبير من الأهالي على إنتاج الزيت وتسويقه داخل الجليل وخارجه.

ملكية الأراضي سنة 1944/1945

بلغت المساحة الإجمالية لأراضي صفورية 55,378 دونماً. ولم تسجل إحصاءات سنة 1944/1945 وجود أراضٍ مملوكة لليهود ضمن حدود القرية.

ملكية أراضي صفورية

جهة الملكية	المساحة بالدونم	النسبة التقريبية
العرب الفلسطينيون	41,748	75.4%
اليهود	0	0%
أراضٍ عامة	13,630	24.6%
المجموع	55,378	100%

استخدام الأراضي سنة 1944/1945

تندرج مساحة الأراضي المزروعة بالزيتون ضمن الأراضي المروية والبساتين، ولذلك لا تُضاف إليها مرة أخرى عند حساب المساحة الإجمالية.

استخدام أراضي صفورية بالدونم

نوع الاستخدام	العرب	أراضٍ عامة	المجموع
الأراضي المزروعة بالحبوب	21,841	0	21,841
الأراضي المروية والبساتين	5,310	0	5,310
منها أراضٍ مزروعة بالزيتون	3,720	0	3,720
مجموع الأراضي الصالحة للزراعة	27,151	0	27,151
الأراضي غير الصالحة للزراعة	14,495	13,630	28,125
المنطقة المبنية	102	0	102
المجموع	41,748	13,630	55,378

السكان

بلغ عدد سكان صفورية في سنة 1596 نحو 2,200 نسمة. وفي أواخر القرن التاسع عشر قُدّر عددهم بنحو 2,500 نسمة.

سجل تعداد سنة 1922 وجود 2,582 نسمة، ثم ارتفع العدد إلى 3,147 نسمة في تعداد سنة 1931. وتشير بيانات ذلك التعداد إلى أن الرقم شمل أيضاً عرب الحجيرات وعرب الحجاجرة.

وفي سنة 1944/1945 بلغ عدد سكان صفورية 4,330 نسمة، منهم 4,320 مسلماً وعشرة مسيحيين.

التعداد السكاني في صفورية

السنة	عدد السكان	ملاحظات
1596	2,200	تقدير استناداً إلى سجلات الضرائب العثمانية
أواخر القرن التاسع عشر	نحو 2,500	تقدير تقريبي
1922	2,582	تعداد رسمي
1931	3,147	شمل عرب الحجيرات وعرب الحجاجرة
1944/1945	4,330	إحصاء رسمي
1948	نحو 5,023	تقدير عشية تهجير القرية
اللاجئون سنة 1998	نحو 30,845	تقدير لعدد اللاجئين المتحدرين من القرية

عدد المنازل في صفورية

السنة	عدد المنازل	ملاحظات
1931	747	رقم موثق في التعداد
1948	نحو 1,192	تقدير لاحق

احتلال صفورية وتهجير سكانها

تعرضت صفورية لغارة جوية إسرائيلية في 30 أيار/مايو 1948، وفق بيان عسكري إسرائيلي نقلته صحيفة «نيويورك تايمز». ثم أصبحت القرية هدفاً رئيسياً خلال عملية «ديكل»، التي نفذها الجيش الإسرائيلي في الجليل بين 8 و18 تموز/يوليو 1948.

تقدمت نحو صفورية كتيبة مدرعة من اللواء السابع وكتيبتان من لواء كرميلي، تمهيداً للهجوم على مدينة الناصرة. ووصلت القوات إلى أطراف القرية في ليلة 15 تموز/يوليو، واكتمل احتلالها عند الفجر.

وبحسب شهادات جمعها المؤرخ الفلسطيني نافذ نزال من أهالي القرية، قصفت ثلاث طائرات إسرائيلية صفورية خلال الليل، وألقت براميل محشوة بالمتفجرات والشظايا المعدنية والمسامير والزجاج. وأسفر القصف عن استشهاد وإصابة عدد من السكان، بينما لجأ كثيرون إلى البساتين طلباً للأمان.

حاول مقاتلو القرية مقاومة القوات المتقدمة، لكنهم كانوا يفتقرون إلى التنظيم والاتصال والتنسيق. وانتهت المعركة سريعاً، فغادر كثير من الأهالي الذين احتموا بالبساتين باتجاه الشمال أو الشرق.

بقي عدد محدود من السكان في صفورية، وتمكن بعض المهجّرين من العودة إليها خلال الأشهر التالية. إلا أن السلطات الإسرائيلية طردت من بقي فيها في أيلول/سبتمبر 1948، ثم عاد مئات السكان مرة أخرى إلى قريتهم.

في كانون الثاني/يناير 1949، جمعت السلطات الإسرائيلية العائدين وحملتهم في الشاحنات، ثم هجّرتهم إلى القرى والبلدات العربية المجاورة، ومنها عيلوط والرينة وكفر كنا. واستقر عدد كبير من أبناء صفورية في مدينة الناصرة، ولا سيما في حي الصفافرة الذي حمل اسمه نسبة إليهم.

تسلسل الاحتلال والتهجير

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
هجوم جوي مبكر	30 أيار/مايو 1948	يسجل وليد الخالدي، كما تنقل PalQuest، أول ذكر لقصف جوي على صفورية في هذا التاريخ، استنادًا إلى بلاغ عن إصابات مباشرة في القرية.
بدء عملية ديكل	ليلة 8–9 تموز/يوليو 1948	بدأت عملية ديكل بهدف توسيع سيطرة قوات الاحتلال الإسرائيلي في الجليل الأسفل والغربي، وانتهت باحتلال مناطق واسعة بينها الناصرة وصفورية.
التحرك نحو صفورية	مساء 15 تموز/يوليو 1948	تحركت قوة مؤلفة من كتيبة مدرعة من اللواء السابع وكتيبتي مشاة من لواء كرميلي من منطقة شفا عمرو باتجاه صفورية تمهيدًا لاحتلالها والتقدم نحو الناصرة.
القصف الجوي	ليل 15–16 تموز/يوليو 1948	بحسب شهادات أهالي صفورية التي جمعها المؤرخ الفلسطيني نافذ نزّال، قصفت ثلاث طائرات القرية ليلًا، وأدى القصف إلى سقوط قتلى وجرحى ولجوء أعداد من السكان إلى البساتين المحيطة.
الهجوم البري والمقاومة	ليل 15–16 تموز/يوليو 1948	تقدمت القوة البرية نحو القرية، وواجهها مقاتلون محليون بصورة غير منظمة، قبل أن تحسم القوة المهاجمة المعركة خلال ساعات.
احتلال صفورية	فجر 16 تموز/يوليو 1948	استولت قوات الاحتلال الإسرائيلي على صفورية بواسطة كتيبة مدرعة من اللواء السابع وكتيبتي مشاة من لواء كرميلي ضمن عملية ديكل.

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
النزوح الرئيسي	صباح 16 تموز/يوليو 1948 وما بعده	غادر كثير من السكان الذين كانوا قد احتموا بالبساتين باتجاه الشمال والشرق بعد القصف وسقوط القرية، بينما بقي عدد محدود في المنطقة أو حاول العودة لاحقًا.
طرد من بقي من السكان	أيلول/سبتمبر 1948	تنقل PalQuest أن من بقي من سكان صفورية تعرض للطرد في أيلول/سبتمبر، في حين عاد مئات من أبناء القرية إلى أراضيهم ومناطقها في الأشهر التالية.
عودة قسم من الأهالي	أواخر 1948	عاد مئات من أهالي صفورية إلى القرية وأراضيها بعد احتلالها، رغم منع العودة ومحاولات إبعادهم.
الطرد اللاحق للعائدين	كانون الثاني/يناير 1949	تنقل PalQuest أن السكان الذين عادوا أو بقوا في صفورية جُمِعوا في شاحنات وطُردوا مرة أخرى إلى قرى عيلوط والرينة وكفر كنّا.

المستعمرات المقامة على أراضي صفورية

أُنشئت مستعمرة «تسيبوري» الزراعية سنة 1949 على أراضي صفورية، على مسافة نحو ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي من موقع القرية. كما أُنشئت مستعمرة «هسوليليم» في السنة نفسها غربي الموقع.

وأُقيمت لاحقاً مستعمرات أخرى على أراضي القرية، هي «ألون هَغليل» سنة 1980، و«هوشعيا» سنة 1981، و«حناتون» إلى الشمال الغربي من الموقع سنة 1984.

كما مُنحت أجزاء من أراضي صفورية لمستوطنات أخرى مجاورة، بعد منع أهالي القرية المهجّرين من العودة إليها.

صفورية اليوم

لم يبقَ من منازل صفورية إلا عدد قليل، من بينها منزل عبد المجيد سليمان ومنزل علي موجودة. أما معظم موقع القرية فتغطيه غابة من أشجار الصنوبر غرسها الصندوق القومي اليهودي.

لا تزال قلعة ظاهر العمر قائمة فوق التل، رغم انهيار أجزاء من جدرانها، وتحيط بها مواقع التنقيب الأثري. كما لا يزال دير القديسة حنة قائماً في الجهة الشمالية من القرية ويُستخدم لرعاية الأطفال الفلسطينيين، وتوجد في الموقع أيضاً كنيسة للروم الأرثوذكس.

حُوّلت المنطقة الأثرية إلى متنزه سياحي إسرائيلي يحمل اسم «تسيبوري»، بينما بقي سكان صفورية الأصليون وذريتهم محرومين من العودة إلى منازلهم وأراضيهم.

المصادر والمراجع

- الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية: صفورية
- الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية: عملية ديكل
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية: قرية صفورية
- فلسطين في الذاكرة: صفورية
- وليد الخالدي، *كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها* .
- نافذ نزال، *النزوح الفلسطيني من الجليل سنة 1948*.